العقوبات الكنسية [4] [1]

نتحدث عن القوانين الكنسية القديمة، المعروفة منذ أقدم العصور في المسيحية، والمعروفة في أيام المجامع المسكونية والمكانية إلى منتصف القرن الخامس الميلادي حينما كانت الكنيسة حاسمة جدًّا وفي منتهى الحزم في معاملة المؤمنين، وفي معاقبتهم على خطاياهم الثقيلة بعقوبات علنية.

مصدر سلطان العقوبة

سلطان الكنيسة في العقوبة هو سلطان إلهي، قال فيه الرب: "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ"، وقال أيضًا عن الخاطئ: "وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ والعشار" (مت18: 17، 18).

وهذا السلطان الكنسي قد مارسه القديس بطرس الرسول في معاقبته لحنانيا وسفيرة (أع5)، كما مارسه القديس بولس الرسول في معاقبته لخاطئ كورنثوس (1كو5:5)، وفي لعنته التي صبها على عليم الساحر (أع11:13)، كذلك عقوبة الحرم التي فرضها على كل من يخطئ في التعليم.

وكان القصد الإلهي من العقوبة أن تحتفظ الكنيسة بقدسيتها. وأن يرتدع الخطاة. وكذلك يكون عند الباقين خوف (1تي20:5 - أع11:5). وللعقوبات الإلهية جذورها الممتدة في العهد القديم منذ خطية آدم وحواء، كما مارس الآباء والأنبياء فرض هذه العقوبات أيضًا وتنفيذها بسلطان إلهي.

درجات وأنواع العقوبة

العقوبات الكنسية على درجات، تختلف باختلاف نوعية الخطية ومدى تكرارها. فهي تقع على من يخطئ، وعلى من يقصر في واجباته الروحية، وكل خطأ له وزنه وقدره. وقد وضع الآباء قاعدة قانونية هامة وهي: **"لا يجوز فرض عقوبتين على خطية واحدة".**

ويستثنى من هذه القاعدة الهرطقة والبدعة، وكل انحراف عن الإيمان السليم. فهناك خطية عقوبتها بالنسبة إلى العلماني الفرز، وأما بالنسبة إلى الكاهن فتكون عقوبته عليها هي إسقاط درجته الكهنوتية مع عدم فرزه من جماعة المؤمنين.

ولكن إذا وقع الكاهن في هرطقة، تفرض عليه العقوبتان معًا، فيسقط ليس فقط من درجته الكهنوتية، إنما من كل درجات الكهنوت مهما بلغ علوه فيها، وكذلك يفرز من جماعة المؤمنين، وهكذا حدث مع أريوس القس ومع كل من تبع هرطقته من الأساقفة والقسوس والشمامسة، وهكذا حدث مع نسطور بطريرك القسطنطينية ومن قبله مع مقدونيوس بطريرك القسطنطينية. ومع الراهب يمكن أن يسقط من كهنوته ورهبنته معًا، إذا هرطق، ويفرز من جماعة المؤمنين، أي توقع عليه ثلاث عقوبات.

فماذا يحدث مثلاً إذا تزوج شماس أو قس بعد ترمله؟

في هذه الحالة يسقط الشماس من درجه الشماسية ويسقط الكاهن من درجة القسيسية. ولكن يبقى كلاهما داخل جماعة المؤمنين. وإذا تزوج قس راهب، فإنه يسقط من درجة الكهنوت، ويسقط من طقس الرهبنة، ولكن لا يفرز من جماعة المؤمنين بل يدخل في قانون توبة، ولا يتناول ككاسر نذر، حتى تنتهي مدة عقوبته، أما متى تنتهي وكيف؟ فهذا سنتحدث عنه بمشيئة الله في مناسبة أخرى.

الطرد من جماعة المؤمنين Excommunication وهي كلمة مشتقة من جزئين: Ex بمعنى خارج أو خارجًا Community بمعنى الجماعة، فيكون معنى العقوبة هو طرد المخطئين خارجًا من جماعة المؤمنين.

وهي غير الحرم anathema (أناثيما) التي توقع على الهراطقة.

ومن أمثلتها الاثني عشر حرمًا التي أوقعها القديس كيرلس الكبير على نسطور وكل من يقع في هرطقاته بالتفصيل، ومن أمثلتها أيضًا قول القديس بولس الرسول: "إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أو مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمَا" (غلا1:8،9).

والشخص المحروم من الكنيسة يقال عنه Anathematize أما الكاهن الذي يسقط من درجته الكهنوتية فيقال عنه Depose والقطع من الكهنوت يسمى Deposal إيقاف الكاهن. نـذكر كل هذه التعبيرات، لكي نفرق بين كل هذه الأنواع من العقوبات، لأن كثيرًا من العوام لا يعرفون غير كلمـة محروم، كما أنه يحـدث أحيانًا أن كاهنًا في حالـة غضب، يصدر حكمه على أحد المؤمنين فيقول له أنت محروم! وذلك دون أن يحدد معنى أو نطاق هذا الحرم!!

هـل هو حرمـان من التنـاول مثلاً؟ أم حرمـان من دخول الكنيسـة؟ أم حرمان من جماعـة المؤمنين؟ وهل هو حرمان لمـدة معينـة؟ أم حرمان دائم؟ ولا يفهم الإنسان المعاقب معنى هذا الحرمان، وربما لا يكون في ذهن الكاهن معنى محدد لهذا الحرم!! ولكنها كلمة في ساعة غضب، وطبعًا المفروض أن يعتمد الحرم على قوانين وعلى إجراءات معينة.

ولا يجوز أن تسـتخدم كلمـة الحرم عبثًا، بـدون سـبب كنسـي يوجبها حسب القوانين الكنسـية، ولا يجوز أن تكون عامـة، مبهمـة بغير تحديد للمقصود منها، وإلا يقع الناس في بلبلة وفي شك، وقد يفقدون الثقة في السلطان الكنسي.

العقوبات الكنسية ونظام الخوارس

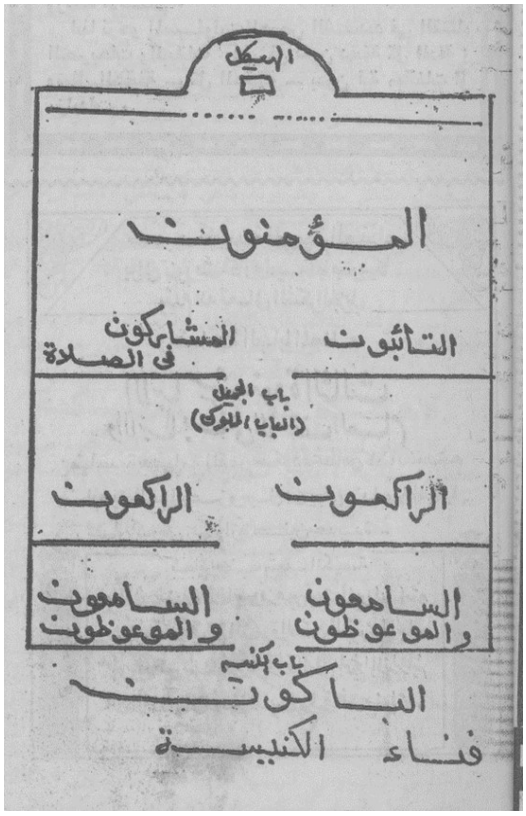

كانت العقوبات الكنسـية قـديمًا مرتبطـة بنظام الخوارس وطريقـة بناء الكنيسـة، فلم يكن صحن الكنيسـة يمثـل مسـطحًا واحـدًا إنمـا كـان مقسّـمًا إلى أقسام، تسـمى خوارس، يفصل كلا منها عن الآخر حاجز بباب أو نوع من الدرابزين.

القسم الأول: الأكثر قربًا من الهيكل، هو خورس المؤمنين، وأحيانًا كان يسمى خورس

القديسـين، وهو مكـان المؤمنين الـذين لهم الحق في حضور كل صـلوات القـداس، وفي التنـاول أيضًـا. كمـا أن لهم الحق أيضًا في تقـديم قرابينهم، أي عطاياهم، التي تـذكر في أوشية القرابين، **وهـذا الخورس كان يسـمح بـدخوله أيضًا للتائبين الذين هم في آخر مرحلـة للتوبـة، بحيـث يسـمح لهـم بمجرد مشاركـة المـؤمنين في حضـور صلوات القداس.** ولكن لا يسمح لهم بالتناول من الأسرار المقدسة حتى تنتهي المدة المفروضـة عليهم في توبتهم، كـذلك لم تكن الكنيسـة تسـمح لهؤلاء بتقـديم قرابين أو عطايا، أي لا تقبل منهم. إنهم مجرد مشاركين في الصلاة.

كانت الكنيسة لا تقبل قرابين أو عطايا الخطاة المحكوم عليهم.

وذلـك عملاً بقول الوحي الإلهي في المزمور "زَيتُ الخَاطِئِ لاَ يَـدهنُ رَأسـي" (مز 140). وكقول الكتاب "لاَ تُـدْخِلْ أُجْرَةَ زَانِيَةٍ... إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ" (تث18:23)، وبنفس الوضع لا تقبل الكنيسـة قرابين أو أموال أو عطايا ممن يكتسب ماله عن طريق خاطئ، فالمرابي الـذي يقتطع أموالًا من أفواه الفقراء والمساكين، وصانع تماثيل الأصـنام، والذي يكتسب بالغش أو بـالظلم أو عن طريق الملاهي، كـل ذلـك لاـ تقبـل الكنيسـة قرابينهم. كـذلك الخاطئ المحكوم عليه من الكنيسة، الممنوع من التناول، لا تقبل قرابينه، إلى أن تنتهي مدة عقوبته. وبذلك يشعر بثقل ذنبه.

والآن لننظر إلى درجات العقوبات وموقعها من الخوارس.

درجات العقوبات وأماكنها في الخوارس

كان الخاطئ يحكم عليه بفترة عقوبة، قد تمتد إلى سـنوات طويلة، تتوزع حسب توبته على خوارس متعددة حتى يصل أخيرًا إلى درجة التائبين المشاركين في الصلاة مع المؤمنين. فما هي درجات العقوبات هذه؟ إنها:

1- درجة الباكين أو النائحين خارج الكنيسة.

هؤلاء لم يكن يسـمح لهم بـدخول الكنيسـة مطلقًـا، بـل يقفون في الفنـاء الخارجي، يبكون على خطاياهم، ويتضـرعون إلى الـداخلين والخارجين أن يصلوا لأجلهم. وبعضهم أو كلهم كانوا يلبسون المسوح متذللين، وذلك عملاً بقول الكتاب "بِبَيْتِكَ تَلِيقُ الْقَدَاسَةُ يَا رَبُّ" (مز 92).

فإذا قضى الخاطئ التائب هذه الفترة كما ينبغي، ينتقل إلى:

2-خورس السامعين أو خورس الموعوظين.

وهو عبارة عن دهليز في آخر الكنيسة. يصـرح له فيه أن يسـتمع إلى القراءات الكنسـية من فصول البولس والكاثوليكون وأعمال الرسل والإنجيل، وكذلك يستمع إلى العظة، ثم يخرج بعد ذلك فلا يسمع صلوات القداس.

وفي هذا الخورس كان يُسمح أيضًا بدخول اليهود والأمم وباقي الموعوظين وقبل رفع الأبروسفارين وبداية القداس يقف شماس ويقول:

"لا يقف هنا موعوظ أو غير مؤمن"... ويخرج كل من في هذا الخورس.

3- خورس الراكعين.

وهـو أقرب الخوارس إلى مكـان المؤمنين، وهؤلاء مـا كـان يُسـمح لهم بحضور القـداس الإلـهي، ولا بتقـديم القرابين، ولكنهم من أجل تقـدمهم عن غيرهم في التوبة، يتقدم موضـعهم. ويحضـرون ما يُسـمح به للموعوظين راكعين، أو يقال إنهم كانوا قبل خروجهم يركعون ويصـلي الأسـقف أو الكاهن صـلاة عليهم ويصـرفهم، فلا يحضـرون قـداس القديسـين، ولكنهم بعد أن يقضوا فترتهم يتدرجون إلى درجة المشاركين في الصلاة.

4- درجة التائبين المشاركين في الصلاة.

وهي آخر فترة يقضـيها التـائب في قانون توبته وفي فترة عقوبته. فإذا انتهى منها يُسـمح له بالتناول، وتسـمح الكنيسـة بقبول قرابينه، كما سبق فشرحنا.

انتهاء العمل بقانون العقوبات هذا.

حاليًا لا يُعمل بنظام العقوبات هـذا، في كل كنائس العالم لم يعـد أحـد من الناس يحتملونه كما أنه كان علنيًا، وكان يتفق مع انسـحاق القلب في التوبة وفي علانيتها، مما لا نجده الآن، بل كان الناس يحتملون عقوبات تمتد أحيانًا إلى سـبع سـنوات، وإلى عشـر سـنوات، وإلى عشرين سنة، **من يستطيع أن يحتمل هذه العقوبات الآن؟! لا أحد.**

لـذلك ألغت الكنيسـة الكاثوليكيـة هـذه العقوبات الموجودة في القوانين القديمة. ألغتها من زمن طويل. كما ألغتها الكنائس الأرثوذكسـية البيزنطيـة أو اليونانيـة منذ القرن الحادي عشـر... وألغت معها وظيفة المؤدب، والمؤدب الكبير، وكذلك نظام الخوارس انتهى من كل أبنية الكنائس منذ زمن طويل.

---

1. مقال لقداسة البابا شنوده الثالث نشر في جريدة وطني بتاريخ 19-7-1987م